بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين

هذه الليلة[1] بمناسبة ما يذكر من وفاة الصديقة الشهيدة سيدة نساء العالمين فاطمة (ع) أحاول أن أذكر ما يرتبط بهذه المناسبة من جهة وأراه نافعا من جهة أخرى، أتحدث عن تسبيحة الصديقة الطاهرة فاطمة (ع)

فاطمة (ع) كان لها أولاد وكانت تعمل وكان رسول الله (ص) مقسّما العمل بينها وبين أمير المؤمنين (ع) لكن أمير المؤمنين لم يكن دائما موجودا، فمن جهة كان أمير المؤمنين (ع) يخرج للغزوات وبعض الأحيان كان يُبعث إلى بعض الأماكن كاليمن مثلا، كذلك أمير المؤمنين (ع) كان تحت أمر رسول الله (ص) فكان يُعلمه[2]، فما كان يستطيع أن يقوم بكل تلك الأعمال دائما، يُذكر في بعض الروايات أن فاطمة (ع) ذهبت إلى رسول الله (ص) تطلب خادمة، وفي بعض الروايات أن أمير المؤمنين (ع) ذهب معها ثم بعد ذلك استحيَت ورجعت فرسول الله (ص) -كان يحبها ويهتم بها كثيرا- أتاها وقال لها هل أتيتي لحاجة؟ فهي استحيَت فأمير المؤمنين (ع) قال أتت لتطلب خادمة، فرسول الله (ص) قال لها أتريدين أن أعلمك ما هو خير لك من خادمة؟ فقالت نعم يا رسول الله، فرسول الله (ص) علمها ومعها أمير المؤمنين (ع) أنهما إذا أخذا في نومهما فيكبران أربعا وثلاثين مرة ويحمدان الله ثلاثا وثلاثين مرة ويسبحان الله ثلاثا وثلاثين مرة، وفي بعض هذه الروايات أن فاطمة (ع) حينما رجعت قالت ذهبت لأمرٍ للدنيا فرجعت بالآخرة[3]

هذه التسبيحة ماذا تعني؟ تسبيحة فاطمة (ع) فيها ثواب عظيم، يُسبّح بها بعد الصلوات ويسبّح بها قبل النوم ويسبّح بها دائما، نتساءل لِمَ لها هذا الثواب؟

هناك قاعدة أن العمل كلما كان له تأثير أكبر في تربية وتوجيه الإنسان إلى الله تبارك وتعالى كان ثواب هذا العمل أكبر، ففي هذه الدنيا للعمل تأثير على الإنسان، يبني الإنسان ويصبغه ثم يدخل الجنة بهذه الصبغة التي يُحصّل عليها في هذه الدنيا، بناءً على أساس هذه القاعدة أريد أن أقول:

هذه التسبيحة معروفة بهذه الطريقة أن في البداية أربع وثلاثين مرة تكبيرة (**الله أكبر**)، وبعد ذلك ثلاثة وثلاثين مرة تحميدة (**الحمد لله**)، وفي الأخير ثلاثة وثلاثين مرة تسبيحة (**سبحان الله**)، حسب فهمي التكبيرة والتحميدة والتسبيحة

---

(1) تحدث السيد محمد علي الباقري بهذا الحديث في مسجد البلوش ليلة الجمعة بتاريخ ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٥هـ الموافق ١٩٩٤/١٠/٢٧م، وقد تطوّع بعض الأشخاص بطباعته مع شيء من التصرف نتيجة تحويل الحديث من مسموع إلى مقروء وقد لا يخلو من أخطاء غير مقصودة

(2) ولأجل هذا رسول الله (ص) سد الأبواب المشرعة إلى المسجد كلها باستثناء باب أمير المؤمنين (ع) وبابه الشخصي فيلتقي ويختلي به

(3) من لا يحضره الفقيه (٣٢٠/١)

هي ثلاثة أشياء رئيسية الإنسان بحاجة إلى تذكرها دائما حتى ينجو وحتى يصبح إنسانا صالحا، فالإنسان في حياته يواجه مشاكل **يحتاج** فيها إلى تذكّر هذه الأشياء الثلاثة، أريد أن أشرح هذا

المشكلة الأولى هي تكبير غير الله تعالى، الآن في هذه الحياة التي يعيشها الإنسان –حتى الإنسان المتديّن– يُتخذ من الأشياء التي يشتهيها أهدافا وغايات، والأشياء التي يشتهيها في هذه الدنيا تكبر في ذهنه فالدنيا والأشياء التي يشتهيها تكون كبيرة في نظره ولا شيء أكبر منها، أما المؤمن[١] يعتقد بأن الآخرة أكبر من الدنيا وأن **الله أكبر**، هذه الحقيقة التي يعتقد بها المفروض أنه ينسق معها في كل جوانب حياته ويذكرها دائما، لكنه يغفل عن هذه الحقيقة نتيجة الشهوات والملهيات الخارجية التي تُطرح له أنها هي الأكبر، العالم الذي لا يسوده طريق النبي أو الولي فالأشياء المشتهاة تصبح فيه هي الأكبر والإنسان المتدين على أي حال يعيش في هذا العالم، فبالتدريج ينسّق وينظّم حياته بهذه الطريقة، يذكر (الله أكبر) في الصلاة وفي أوقات معينة فقط، أما في الواقع العملي فهو في داخل نفسه ينسّق مع الأشياء التي هو يعتبرها كبيرة، هذا الشيء الذي أصبح كبيرا في نظره إما أنه ورثه أو بعوامل أخرى قد ورد في ذهنه وكَبُر، فيحاول أن يجمع بين الله عز وجل وبين هذا الشيء حتى إذا هو لا يعترف

الإنسان المؤمن يحاول أن يكبّر الله ويذكر هذه الحقيقة دائما حتى لا ينساها وحتى لا يُغلب في قرارة نفسه، لأن المؤمن في قرارة نفسه وذهنه دائما في صراع، الشيطان يحاربه وكذلك أعوان الشياطين يحاربونه بشتى الطرق حتى يُكبّروا غير الله تبارك وتعالى في داخل نفسه، فالمؤمن يكون منتبها إلى هذه الحقيقة ويكبّر الله في نفسه، هذه الحقيقة من الضروري أن يذكرها ويكررها، وتوجد روايات كثيرة تحث على الإكثار من التكبير وتكراره، لكن بشرط أن يكون منتبها لها ولا يكون ترديدا للفظ فقط، هذا يعني أن الشخص الذي يكرر هذا يكون منتبها أن الله تبارك وتعالى هو أكبر، ومن نتائج تكبير الإنسان لله تعالى حقيقة أن الأشياء الأخرى تصغر في نظره **(إنّ مِن حَقّ مَنْ عَظُمَ جَلالُ اللهِ في نَفْسِهِ، وَجلّ مَوْضعه مِنْ قَلبِهِ أن يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذلكَ كُلُّ ما سِواه. وإنّ أحَق مَن كان كذلك لَمَن عَظُمَتْ نِعمَة الله عَليه ولَطُفَ إحْسانُه إليّ)**[٢] فهذه حقيقة يستطيع الإنسان أن يجربها

مثلا أولياء الله، الإنسان إذا انتبه لقصصهم والقضايا التاريخية التي تنقل عنهم ووضع نفسه مكانهم يتعجب لتلك القوة التي كانت لديهم، من أين كانت تأتيهم؟ كانت تأتيهم لأنهم كبّروا الله تبارك وتعالى فالأشياء الأخرى ما كانت تؤثر عليهم، مثلا زوجة فرعون حينما وقفت ضد فرعون، كانت منعمة ومدللة ومعززة –حسب المقاييس الظاهرية– فوقفت ضد فرعون وآمنت بموسى بن عمران، كيف؟ فرعون سقط من عينها[٣] بتكبيرها لله تبارك وتعالى، هذا مجرب

---

(١) انتبهوا الإيمان درجات ونحن نحاول أن نكون مؤمنين أكثر وأكثر **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ)** (النساء: ١٣٦) **(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)** (طه :١١٤) **(وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ)** (يوسف: ٧٦) **(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)** (الفاتحة: ٦)

(٢) الكافي (٣٥٥/٨)

(٣) فرعون لم يسقط لوحده بطبيعة الحال بل فرعون مع كل الأشياء التي كانت تكبّر فرعون سقطت من عينها

الإنسان دائما معرّض لهذه المشكلة، فالعالم دائما يحاول أن يصغّر الله تبارك وتعالى في نفس الإنسان، يعني من الممكن أن الإنسان المسلم –حتى المتديّن الغافل– ينظم حياته تماما وفق حياة الإنسان الذي لا يؤمن بالله ومع ذلك هذا الشخص يستطيع أن يدّعي بأنه مؤمن بالله تبارك وتعالى، لأن هذا الإنسان في الحقيقة لم يكبّر الله تبارك وتعالى في واقع حياته، فلو كان يكبّر الله كانت وجهته تتغير فالأشياء الأخرى تصغر في نظره، الإنسان يستطيع أن يعرف هذا الشيء بوضوح، ففي حياته يجعل الله عز وجل دائما بحيث لا يؤثر أي تأثيرٍ على الحياة، يعني لا يكون الله عز وجل في نفسه قيّما على الأشياء ولا يكون قاهرا فوق عباده، فلا يكون أكبر في نفسه ولا في حياته

نحن نحاول أن نفهم هذه الحقيقة، فنحاول أن نكبّر الله في نفوسنا، ومن الأسباب والعوامل التي تؤثر على هذا التكبير هو تكرار ذكره، **بشرط أن يكون الذِّكر مع الالتفات إلى معنى،** بعض الأحيان الإنسان يغفل بطبيعة الحال، لكن إذا هو بعد الصلاة أربعة وثلاثين مرة كبّر الله تعالى فهو في بعض الأحيان ينتبه أن الله أكبر، فذِكره (الله أكبر) يكون تلقيناً لهذه الحقيقة التي تُحارَب كثيرا، الشيطان يحاربها في داخل نفس الإنسان، وأعوان الشياطين كذلك يحاربونها من الخارج، هذه الحقيقة يجب أن يكون الإنسان المؤمن دائما منتبهاً لها

المشكلة الثانية التي يواجهها الإنسان في حياته هي مشكلة الحمد لغير الله تبارك وتعالى، يذكرون أن معنى الحمد هو مدح موجودٍ على عمل اختياري، يعني مثلا الحجر لا يُحمد، الحجر ممكن يمدح إذا كان الحجر من الذهب مثلا، أو لوحة جميلة تُمدح لكنها لا تُحمد، الذي يُحمد هو الإنسان لأنه موجود يفعل الأشياء باختياره، فحينما يُمدح لعمل معين يُقال أنه حُمِد، كذلك الله تعالى يُحمد

الإسلام دائما يوجّه الأشياء الموجودة في النفس الإنسانية ولا يختلق أشياء جديدة، لا يزرع في النفس شيئا جديدا، تلك الأشياء التي الله تبارك وتعالى خلقها يوجهها ويهديها، فحالة الحمد موجودة في نفس الإنسان لكن يكون موجهها للدنيا ولأرباب الدنيا، أقصد الحمد الطبيعي ليس اللفظي، يعني يتوجه الحمد –الموجود في خلقتك– لمن يصنع لك الحياة المريحة، الحمد لمن يصنع لك بيتا مريحا، الحمد لمن يريحك في هذه الدنيا، الحمد لمن يدفع عنك المرض، فحسب الظاهر الحمد لهؤلاء، بالتدريج هذه الأشياء تنتظم في الذهن وفي النفس، هنالك اتجاه في الحمد، فالإنسان يحمد أناساً، قد يقول الحمد لله ويصلي ويذكر كثيرا أن الحمد لله وقد يصلي النوافل لكن حمده –الطبيعي– في الواقع لنفسه أو للإنسان البارز في قرارة نفسه، الحمد لذلك الإنسان المشهور، الحمد لذلك الإنسان الذي يريّح الحياة وهكذا وهكذا، فمن يكبّره يحمده، لأن التكبير والحمد مرتبطان، فالشيء الذي يكبّره الإنسان هو الذي يحمده

الإنسان المؤمن يرى ويعتقد أن الحمد لله تبارك وتعالى، فإذا لا يعتقد بهذه الحقيقة لا يكون مؤمنا، لكن هذه الحقيقة كذلك تواجه كثيرا من العقبات في الواقع الخارجي، بالمقدار الذي أنا أراه ووجدته أن الإنسان كثيرا ما يرى الحمد لغير الله، نفسه تكبر وتطغى وتتكبّر فيرى الحمد لنفسه، ويرى الحمد لأناس آخرين يكبرون في نظره فيرى الحمد لهم، كثيرا ما يحصل هذا الشيء فيَحمد غير الله تبارك وتعالى

مثلا بلال نأخذه كنموذج[1] من أصحاب رسول الله (ص)، فيُنقل[2] أن بلالا بعد وفاة رسول الله (ص) لم يؤذن إلا مرة واحدة، وحينما طُلب منه أن يؤذن رفض، قال لا أؤذن بعد رسول الله (ص)، يقال أن فاطمة (ع) طلبت منه أن يؤذن فأذّن -القصة معروفة- وحينما وصل إلى (أشهد أن محمدا رسول الله) أُغمي على فاطمة (ع) فقيل له كُف فكف وتوقف، فكان بلال رجلا صالحا، فيقال أن أخوه خطب بنت رجل معروف وكان أخوه أسود بطبيعة الحال، فقالوا أن بلالا يجب أن يحضر ويتكلم، فقال أيها الناس إنا كنا عبدين فأعتقنا الله وكنا ذليلين فأعزنا الله فإن أنكحتمونا فالحمد لله وإن رفضتم فلا حول ولا قوة إلا بالله، بلال قبل أن يؤمن لم يكن يكبّر الله تبارك وتعالى بل كان غير الله كبيرا في نظره، أبو جهل وأبو سفيان بامتداداتهم هم الذين كانوا كبارا في نظره والدنيا كانت كبيرة في نظره[3]، هؤلاء كانوا أئمة في نظره وكانوا كبراء، ثم بعد ذلك آمن بالله تعالى وكبّره فتحطمت هذه الحياة في نظره، فكبُر بلال لأن الله كبُر في نفسه، فيقال أنه حينما كان يغمى عليه تحت التعذيب كان يفيق ويقول أَحدٌ أَحد يعني الله، فكل شيء غير الله تعالى تحطّم وهبط في نظره، وكان بلال قبل ذلك يحمد غير الله بطبيعة الحال، الحمد كان لمن؟ كان الحمد لأبي جهل والحمد لأبي سفيان والحمد للدنيا، الحمد لمن يصنع الدنيا، الحمد لمن يصنع ذلك الشراب اللذيذ مثلا، الحمد لمن كان ينسج ذلك اللباس الناعم، الحمد لمن كان يصنع ذلك الطعام اللذيذ، هكذا كان، الحمد لمن نفترض أنه يحل مشكلة الناس الاجتماعية مثل أبي جهل، فأبو جهل كان لقبه أبا الحكم ثم بعد ذلك صار لقبه أبو جهل، فلقبه السابق يعني أنه كان يحل مشاكل الناس وكان إنسانا بارزا وحكيما حسب مقاييس ذلك المجتمع فالحمد كان له، بعدئذ حينما آمن بلال بالله وكبّر الله في نفسه فصار حمده لله تبارك وتعالى، الحمد صار لله تبارك وتعالى

المشكلة الثالثة التي يواجهها الإنسان في حياته، مثلا نقرأ في القرآن الكريم (**وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتْ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ . سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ**) (الصافات: ١٥٨-١٦٠) إذا نلاحظ نجد أن الإنسان بشكل طبيعي يربط بين الله تعالى وبين الأشياء، مثلا المساجد لله، بالتدريج الإنسان يربط الله تعالى وبين من بنى المسجد وطريقة المسجد، أو نفترض كتاب ديني يُكتب فيُربط الله عز وجل في ذهن الإنسان بهذه النوعية من الكتب، بالتدريج كل مظاهر الحياة التي يعيشها الإنسان يربطها في ذهنه بالله تعالى، فيرى الإنسان الله تعالى بهذه الصورة التي عاشها وتأثر بها وليس **الله القدوس السبحان**، وإنما الإنسان هو -بأهوائه- نزّل الله تبارك وتعالى في ذهنه ونفسه، الله عز وجل في الحقيقة لا ينزل فهو الكبير المتعال القاهر فوق عباده، لكن لأن الإنسان مخلوق مختار يستطيع أن يغيّر وينزّل ويصغّر في ذهنه ما يشاء، فالله تبارك وتعالى يُنزل ويُربَط بأشياء في ذهن الإنسان، بالتدريج الله عز وجل يصبح في نفس

---

[1] من الضروري أن الإنسان يعيش ويتذكّر عالم رسول الله (ص)، توجد رواية (**عن أبي عبد الله (ع) قال: لو أن أهل السماوات والأرض لم يحبوا أن يكونوا شهدوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكانوا من أهل النار**) وسائل الشيعة (١٤٠/١٦)، يعني لابد للإنسان أن يَود رسول الله (ص) ويحبه، لابد أن يشعر بالارتباط به، ومن شعر بالارتباط به عاشه، ومن لا يعيش رسول الله (ص) -حياته وأصحابه- لا يكون مؤمنا صالحا ولا يحشر معه بطبيعة الحال

[2] العقد الفريدة (٩٨/٧)

[3] هذه الأشياء لم تنقل لكن على أي حال الإنسان يستطيع أن يعرف نفوس الناس، يعرف بأنه ربما مثلا بلال حينما كان يشتغل ثم بعد ذلك يرتاح ويتمنى ويعيش الأحلام كان يعيش أحلاماً كأحلام أبي جهل وكأحلام أبي سفيان.

الإنسان وذهنه إلهاً مبتذلاً والعياذ بالله، فالإنسان إذا كبّر غير الله لا يستطيع أن يحمده وإذا لا يحمده كذلك لا يستطيع أن يجده سبحانا، أي أن الله منزه وهو فوق الأشياء وفوق أن يوصف سبحانه وتعالى

نفس الحقيقة لها أبعاد مختلفة، إذا لم يُكبّر الله يُحمد غيره، إذا لا يحمد الله والحمد يكون لغيره فلا يسبّح الله عز وجل، فسبحان الله تعني أن الله منزّه، منزّه عن الأشياء التي أنا أفعلها، يجب أن أذكّر نفسي بهذه الحقيقة حتى لا يتبهدل الله تعالى في نفسي، لاحظ الآن الأمر وصل إلى أن أناساً فاسدين حينما يبدأون بالحديث -أو يكتبون مثلا شيئا- يذكرون بسم الله تبارك وتعالى ويذكرون آيات قرآنية! هذا يعني أن الله عز وجل ابتُذِل، يعني أن الله في نظر هؤلاء ليس سبوحاً، يعني أن الله ليس قدوساً في نظر الإنسان، هكذا يحصل إذا الله لم يكبّر وإذا لم يكن الحمد له فالله لا يكون السبحان، هذا الإنسان يستطيع أن يجربه

فإذن هذه الحقيقة التي لها أبعاد ثلاثة يجب أن الإنسان يذكرها دائما لكن لا فقط باللفظ، جيد أن الإنسان يأخذ سبحة أو بأصابعه أو في باطنه يسبح الله تبارك وتعالى في أكثر الأوقات، مثلا (**فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى**) (طه: ١٣٠) فهكذا الإنسان حينما يكثر تسبيح الله تعالى، فينمو الإنسان بالله إذا كان الله سبوحا في نفسه، هذه الحقيقة يجب أن نذكرها، اللفظ وحده لا يكفي لابد للإنسان أن **يسعى** لتكبير الله، يسعى لأن يكون الحمد لله فقط، ويسعى ويرغب لأن يكون الله هو السبحان، اللفظ كثيرا ما يقال لكن في نفس الوقت الإنسان يسبّح غير الله تعالى أو ينزل -والعياذ بالله- من قدر الله تعالى (**مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**) (الحج :٧٤) هذه المسألة يجب أن نعرفها

ولابد للإنسان أن يستعين بغيره فلا يمكن للإنسان أن يكبّر الله حقيقةً في نفسه وأن يجعل الحمد لله في نفسه ويسبّح الله في نفسه إلا أن يجد له عونا، أعوانا يسبّحون الله معه، يجعلون الحمد لله ويعينونه على أن يحمد الله وحده، مثلا إذا أنا ربّيت أناسا ليرون الحمد لي أو يكبرونني أنا ففي الحقيقة أنا أضللت نفسي وأضللت غيري، هذه المسألة يجب أن نعرفها، كل إنسان مؤمن من الضروري أن يكرر اللفظ على أي حال فاللسان معيار القلب ويعبّر عما في القلب، يُنقل[١] عن الإمام الصادق (ع) أنه كان يرى الإمام الباقر (ع) دائما كأن لسانه ملتصق بحنكه من ذكر الله تبارك وتعالى، الله أكبر الله أكبر، جيّد أن الإنسان يستغل ويستفيد من أية فرصة فيراه أولاده أو أصحابه أنه يذكر الله بشرط ألا يتصنع، يذكر الله تبارك وتعالى بلسانه وبالتدريج الإنسان يتعود على هذه الطريقة ويدعو ويطرح كِبر الله على الآخرين وينبههم، الناس بعض الأحيان يضعفون فالإنسان يقويهم، هذا واجب على الإنسان المؤمن أن يقوي غيره ويعينه، عون المؤمن واجب فلا يفكر بأنه لا شأن لك! صحيح أن عليك نفسك لكن لا يمكن أن تنجو أنت إلا بأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتدعو إلى الخير هذا ضروري، فالإنسان يذكّر ويدعو الآخرين إلى ذكر الله بالتكبير والتسبيح والتحميد

والحمد لله رب العالمين

---

(١) بحار الأنوار (١٦١/٩٠) نقلا عن عدة الداعي